



مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع



— حرب غزة ومستقبل «القوة المعيارية» الأمريكية: كيف قوّضت الحرب «خطاب القيم» في السياسة الخارجية الأمريكية؟

د. عبد الرزاق غراف

باحث أول

مركز الخليج للأبحاث



مرتبطة بإعادة الانتشار في مناطق أكثر أهمية استراتيجية على غرار أوروبا الشرقية كأولوية



Source: skynewsarabia.com

فرضها الصراع في أوكرانيا وبحر الصين والمحيطين الهادي والهندي كأولوية فرضها تصاعد حدة التنافس مع الصين، في ظل هذه الظروف جاء هجوم السابع من أكتوبر ومعه اندلعت حرب غزة التي دخلت أسبوعها الخامس دون أفق ظاهر للمخرج المنوط به وقفها، حرب من الواضح أنها فاجأت الجميع على النحو الذي لم يترك المجال لأحد التفكير في كيفية التعامل معها انطلاقاً من أن الكل يعلن لغاية الآن أنه أمام حتمية التعامل وفق الخيار الذي فرض عليه بعد هجوم المقاومة الفلسطينية الذي أعاد الحياة لقضية كان البعض يتوهم أنها انتهت بغير رجعة تحت طائلة «التقادم» ومستدلين بمسار «أبراهام» لإثبات حجتهم في ذلك.

إسرائيل «حتمية الدفاع عن النفس كجزء من حماية الوجود»/

فإسرائيل ترى أنها أمام حتمية خيار «الدفاع

لطالما اعتبرت «القيم» أحد أهم مرتكزات خطاب السياسة الخارجية الأمريكية نحو العالم على اعتبار أنها رائدة العالم الحر، ومعه شكلت المنظومة القيمية الأمريكية أحد أهم محددات «القوة المعيارية الأمريكية» القائمة على ثلاثية «الحرية - الديمقراطية - حقوق الإنسان» لعقود من الزمن، على النحو الذي أرادت أمريكا من العالم أن يدين بهذه القيم كمعيار يحمل جملة من دلالات التقدم والرقي البشري، وهو ذاته المعيار الذي جعل إسرائيل في نظر الغرب ورؤيته للقيم الدالة على الحضارة تمثل «واحة الديمقراطية الوحيدة التي تشكل الإستثناء في بيئة إقليمية مستبدة وغير متحضرة وفق معايير الغرب للتحضر، حتى لو كان الواقع الذي تدل عليه ممارسات هذا الكيان لا يدل البتة على هذا التوجه القيمي المعياري الذي يخاطبنا به الغرب الأمريكي، بل إنه يحمل من الدلالة على العكس تماماً كون هذا الواقع يجعلنا أمام إدراك حتمي بأن إسرائيل ما هي إلا بديل زرع ليحل محل الإستعمار الأوروبي — الغربي وليقوم مقامه ويحفظ مصالحه ويضمن استمراره.

رغم محاولة إدارة «جون بايدن» الإيحاء بتبني «خيار العودة» إلى المنطقة في آخر سنتين، وفي الوقت الذي بدت فيه القوة الأمريكية تتوارى عن منطقة الشرق الأوسط بعد أكثر من سبعة عقود من التواجد، لأهداف ذاتية داخلية مرتبطة بتقليل حجم تكاليف الانتشار الاستراتيجي المفتوح أو لأهداف دولية

متفاوت بين كل دولة وأخرى، كلهم يتحدثون على لسان رجل واحد «دعم حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها»، ومن أجل ذلك سُيِّرت الأساطيل من حاملات طائرات وغواصات، وجرى فتح خطوط إمداد جوي من الذخيرة والسلاح، بل إن الأمر تعدى كل أنواع الدعم نحو المشاركة المباشرة بالدعم اللوجستي والاستخباراتي وبالمستشارين على الأرض، رغم محاولة بعض القوى الغربية النأي بنفسها عن جرائم إسرائيل الوحشية تجاه المدنيين، وفي الوقت الذي يبرر فيه الأمريكيون أنهم أمام حتمية تبني هذا المسار، يبدوا في الأفق حجم التأثير المبالغ فيه لمصلحة إسرائيل على مصلحة الولايات المتحدة، على النحو الذي قدّمت فيه أمريكا مصلحة إسرائيل على مصلحتها،

عن النفس» وهي التي تعرضت لهجوم حاولت التسويق من خلاله لمظلوميتها على النحو الذي ساوت بينه وبين أحداث ١١ من سبتمبر وكذا ظهور تنظيم «داعش» متناسية جرائمها لعقود من الزمن، وهي التي أنهت سياساتها الاستيطانية التوسعية فضلاً عن تلك العنصرية أي حلم فلسطيني بإقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف، كما أنها بدت حتى عشية السابع من أكتوبر تسير بمباركة من قيادتها اليمينية المتطرفة نحو إرساء معالم «دولة يهودية» تخلو من أي تواجد فلسطيني استناداً إلى خارطة رئيس وزرائها التي رفعها من داخل الأمم المتحدة، هذه الأخيرة التي لطالما كانت مصدراً لـ ٨٧ قراراً أممياً ضربت إسرائيل بها وبالشرعية الدولية مجتمعة عرض الحائط.



Source: <https://ppost.ps>

وهو ما يعيد الإشكال الكلاسيكي والتساؤل الأبدي عن ماهية حدود التوافق والإختلاف بين مصلحة الطرفين؟ وأين يمكن للولايات

الولايات المتحدة من «القيادة من الخلف» إلى «الإقتياد إلى الخلف»/ أمريكا ومن ورائها الغرب مجتمعاً ولو بشكل



مصدقية الرواية الإسرائيلية، وذلك من خلال حجم المظاهرات الداعمة لحق الفلسطينيين في الحياة والمنددة بجرائم إسرائيل رغم كل ما تنفق إسرائيل ومعها اللوبي الصهيوني عبر آتة الدعائية من أجل الترويج لمظلوميتها، وهو ما سيشكل حملاً ثقيلاً على النخب

المتحدة قول لا لإسرائيل كتعبير عن تفضيلها لمصلحتها عن مصلحة إسرائيل، وبما أنه لا يبدو في الأفق ما يدل على ذلك فإن أقل ما يوصف به موقف إدارة بايدن الديمقراطية أنها تجاوزت القاعدة الإستراتيجية التي تبناها سلفه «باراك أوباما» المتمثلة في «القيادة من الخلف» نحو أخرى جديدة جوهرها «الإقتياد إلى الخلف» تكون فيه أمريكا تابعة لإسرائيل في كل ما تمليه مصلحة الأخيرة.

الولايات المتحدة التي تجد قيادتها الديمقراطية في البيت الأبيض نفسها أمام حتمية دعم إسرائيل انطلاقاً من حجم التأثير الذي يفرضه اللوبي الصهيوني وذراعه السياسي «الإيباك» في دوايب صناعة القرار الأمريكي وهي على أبواب انتخابات رئاسية بعد أقل من سنة، تعلم علم اليقين أن الظروف والمعطيات التي أحاطت دعمها المطلق لإسرائيل منذ نشأتها إلى غاية اليوم قد تغيرت، انطلاقاً من العديد من الإعتبارات والتكلفة الأخلاقية المتوقعة من ورائها، وأثرها المحتمل على قوة الولايات المتحدة المعيارية وعلى خطاب القيم في السياسة الخارجية الأمريكية مستقبلاً، فضلاً عن أثر ذلك على المصالح والنفوذ الأمريكي العالمي في ظل تصاعد حدة التنافس والصراع مع روسيا والصين، حيث نجد من هذه الإعتبارات

١. الرأي العام الغربي: فمن لندن إلى باريس إلى برلين إلى نيويورك وواشنطن وإلى معظم عواصم الغرب ومدنه الكبرى، أبان الرأي العام الغربي هذه المرة عن محدودية

السياسية والإعلامية الغربية مستقبلاً، وهي التي لطالما برّرت لإسرائيل كل ما فعلت وتفعل استناداً إلى حقها في الدفاع عن نفسها وسط بيئة معادية تشكل فيها إسرائيل «الإستثناء بحكم تبنيها لمنظومة القيم الغربية ومشاركتها للغرب قيمه الديمقراطية حسب ما كان يّراد للرأي العام الغربي الإعتقاد به.

ورغم الترسانة القانونية التي تجاوزت حدود استخدامها المعهود لمحاربة «معاداة السامية نحو استغلالها من أجل قمع الأصوات المنتقدة



لإسرائيل وتهديدها، في خلط سافر بين «معاداة السامية» و«معاداة الصهيونية»، ورغم التضييق الأمني الرسمي، إلا أن الواضح أن كل ذلك لم ينفذ لوأد تعاضمٍ سخط الرأي العام الذي بدى لوهلة متعاطفاً مع مظلومية الشعب الفلسطيني على نحو لم يسبق أن تعاطف به



Source: alarab.co.uk

طوال تاريخ القضية الفلسطينية، وفي حين إمتد هذا السخط حتى لدى بعض الجاليات اليهودية في الغرب التي خرجت منددة بأعمال إسرائيل وجرائمها ضد الإنسانية يبدو أن الرواية الإسرائيلية التي تتبناها مؤسسات صنع القرار في الغرب قد أصبحت وبالا على مستخدميها ومروجيها رغم عدم اتضاح التكلفة السياسية التي ستدفعها هاته الأطراف مستقبلاً لغاية الآن.

٢. الرأي العام العالمي: المظلة الدبلوماسية والحماية السياسية التي توفرها أمريكا لإسرائيل في المحافل الدولية وفي مقدمتها مجلس الأمن الذي كان الفيتو الأمريكي عنوانه الأبرز في أي محاولة لإدانة إسرائيل بل لوأد أي دعوة لوقف اطلاق حتى لغايات إنسانية، جعل الولايات المتحدة شريكة رئيسية في سياسة «الإبادة الجماعية» التي تنتهجها إسرائيل خلال حربها الراهنة، ولأن هذه الحرب مختلفة عما سبقها من حروب إسرائيلية على القطاع خلال السبعة عشرة سنة الماضية كونها هذه المرة ترقى حسب خبراء جنائيين الى مستوى «التطهير العرقي»، وهو ما سيضع العدالة الدولية وعلى رأسها محكمة الجنايات الدولية أمام وضع حرج وهي التي تبنت قبل أشهر قراراً بإصدار مذكرة توقيف دولية في حق الرئيس الروسي على خلفية جرائم روسيا المفترضة في أوكرانيا، والتي تشير التقارير إلى أنها لا تصل طوال سنتين ماضيتين إلى ١٠٪ مما فعلته إسرائيل في ظرف شهر من حربها على القطاع المحاصر منذ قرابة العقدين.

بالتوازي مع ذلك وفي ضوء الإصرار الأمريكي على تبرئة ساحة إسرائيل من أي مساءلة قانونية وسياسية، للدرجة التي بدت فيها أمريكا داخل المؤسسات الدولية تسير خارج السرب العالمي ومنفردة في تعطيلها للقرارات الدولية والأممية بشكل مفضوح، فإن هذا الأمر سيهز من صورة أمريكا الأخلاقية على نحو سيزيد من عزلتها حتى أمام أقرب حلفائها وبخاصة فرنسا وألمانيا اللتان بدتا

إقليميا/ أثر هذا النهج الأمريكي سلبا على علاقة أمريكا بحلفائها الإقليميين، وبرهن على ذلك حجم الانتقادات التي لاحقت الزيارات المكوكية للمسؤولين الأمريكيين وفي مقدمتهم وزير الخارجية الأمريكي نحو عديد العواصم العربية والإسلامية القريبة من واشنطن، أين قوبل بالعديد من المواقف المعبرة عن حجم الإمتعاض الصريح من سياسة الدعم الأمريكي للإبادة الجماعية الجارية والتطهير العرقي المصاحب لها في قطاع غزة، وهو ما ينذر بالمزيد من التقويض لصورة الولايات المتحدة في العالمين العربي والإسلامي وما ينجر عليه من احتمالات عودة شعبية والزخم الجماهيري لـ «الإسلام السياسي» المناهض للسياسات الأمريكية بعد انكماش دوره السياسي بعد العجز الذي أبان على قدرته في الحكم بعد فشل ثورات الربيع العربي، لتكون حرب غزة والموقف الأمريكي الراهن منها بمثابة إكسير الحياة الذي سيساهم في إعادة الروح لتيارات الإسلام السياسي.

دوليا/ في خضم معركتها الحامية من اجل حماية موقعها المهيمن في النظام الدولي ومع تصاعد رغبة روسيا والصين في رفع نسق التنافس بل والصراع على النحو الذي يُفضي الى نظام دولي أكثر توازنا وتعددية، في ظل هذه الظروف انفجرت الأزمة الراهنة في وجه الإدارة الأمريكية وهي التي كانت تمنى النفس باستغلال قطار التطبيع وبخاصة مع المملكة العربية السعودية من اجل استغلاله في جهودها لتحصيل عهدة ثانية، لتجد الولايات

راغبتين في إيجاد هامش اختلاف مع الولايات المتحدة في تفسير ما يحدث، هامش آخذ في التوسع التدريجي وبخاصة مع فرنسا التي بدى خطاب رئيسها «ايمانويل ماكرون» مختلفا على نحو كبير عن خطابه قبل أربعة أسابيع.

٣. حرب أوكرانيا: التي أزال التستار عن «ازدواجية معيارية غربية» في أكثر صورها رعونة، كيف لا وهي قد أظهرت الولايات المتحدة ومن ورائها الغرب أمام عينة لا تقبل للشك من سياسة «الكيل بمكيالين» اتجاه حدثين متزامنين، وهو ما أربك المواقف الغربية على نحو لم يسبق له مثيل وجعل حديثها الفض عن «الشرعية الدولية» ومعها «القانون الدولي» التي اتخذته طوال سنتين كـ «مرجعية سياسية وقانونية» لتجريم روسيا ما هو إلا تبرير لإستراتيجيتها الهادفة إلى تطويق روسيا في محيطها وتحويلها إلى قوة كبرى بتأثير إقليمي محدود.

٤. تكلفة إقليمية ودولية: أن ترمي الولايات المتحدة بثقلها السياسي والعسكري والاستراتيجي نحو الدعم اللا محدود لإسرائيل، سواء في دعم جهود تحرير الأسرى كما هي تعلن، أو في سبيل منع تمدد الحرب إلى إقليم إسرائيل المجاور في إشارة إلى أن إعادة الانتشار العسكري الأمريكي في شرق المتوسط والشرق الأوسط يقع ضمن استراتيجية أمريكية للجم أذرع إيران في المنطقة عن محاولة التدخل، هذا النهج الأمريكي يحمل في طياته من التكلفة الاستراتيجية الكثير على مصالح أمريكا إقليميا ودوليا

غزة، ما لم تستدرك الإدارة الامريكية ذلك قبل فوات الأوان إن لم يكن هذا الأوان قد فات وانتهى؟، ليبقى الثابت من كل هذا أن هجوم السابع من أكتوبر قد يكون الفارقة الحتمية التي فصلت وأنهت إعتماذ الهيمنة الامريكية العالمية على «القوة المعيارية» ومعه على «خطاب القيم» الذي لطالما روّجت من خلالها أمريكا الى أحقيتها المطلقة في الانفراد بالنفوذ الدولي استنادا الى أن منظومتها القيمية هي من تخوّل لها ذلك حسب منطق تفكيرها.

المتحدة نفسها أمام معضلة كبرى أمام المجتمع الدولي وهي التي بدت في السنتين الأخيرتين من أشد مناصري أوكرانيا في مواجهة غطرسة روسيا أو هكذا ما تم ايهام المجتمع الدولي به، سيناريو يحمل من المخاطر الكثير ليس على صورة الولايات المتحدة الأخلاقية أمام المجتمع الدولي فحسب بل على نفوذها فيه، نفوذ يشير كثير من المراقبين أنه سيشهد حالة من التقلص المتسارع بالنظر للموقف الأمريكي الراهن من حرب إسرائيل على

Gulf Research Center
Knowledge for All



مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع